الطريق إلى الحياة

مقدمة الطبعة الأولى

من أراد أن يكون لي تلميذا فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني

جاء السيد المسيح ليضع لنا طريقاً إلى الحياة الأبدية ونقتفي أثر خطواته ولم يكن يتوقع الذين ساروا معه أن الطريق صعب بهذا المقدار وربما احتج بعض التلاميذ قائلا ***"لو كان الطريق سهلا لكثر اتباع يسوع كما صنعت الديانات الأخرى"*** وفي مرة قالوا له من يستطيع أن يقبل؟ ومرة أخرى تركوه قائلين هذا الكلام صعب من يستطيع أن يقبله؟ والأهم من كل ذلك أن يسوع مصمم بكل تأكيد على تنفيذ وصاياه كلها إذ أنها الطريق لكي نصير أبناء الله.

فإذا رجعنا إلى الموعظة على الجبل نجد وصاياه صعبة جداً... من لطمك على خدك الأيمن فحوَّل له الآخر أيضاً، أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم،

وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، **لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السموات.**

فإما أن ننفذ هذه الوصية بدقة وإما أن نرفض من بنوة السماء حتى ولو كان يدعى علينا اسم المسيح!

وصية أخرى تقول أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه ويقول السيد المسيح أنه نتيجة لذلك يلقى الجسد كله في جهنم.

ويؤكد السيد المسيح في نهاية الموعظة أن الطريق صعب وضيق ***"ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك... ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة"*** متى ٧ : ١٣ ، ١٤.

فالسؤال الموجه إلينا أيها القارئ هل نحن في الطريق؟

وإن لم نكن فماذا ننتفع لو ربحنا العالم كله وخسرنا أنفسنا. ولكن ما أريد أن أؤكده لك هو أن الطريق وإن كان صعباً فإن حمله هين وخفيف بل ولذيذ وفي متناول أضعف إنسان، لأن المسيح جاء ليخلص جميع العالم الذي يؤمن

به، والمسيح وضع طريقة لأقل المستويات علماً وفهماً فبداية الطريق صعبة، ذلك لكي نفك من رباطاتنا مع العالم لأننا لسنا من هذا العالم، أما بعد الدخول في الطريق فهو انتصارنا، وهو اختبار لقوى جبارة تعمل في ضعفنا وهو سلام كامل حتى عندما نتقدم للاستشهاد، أما نهايته فهي اتحاد كامل مع الله فنصير شركاء الطبيعة الإلهية وورثة مع المسيح.

أن بداية الطريق احتياج كامل ليعمل الروح القدس في حياتنا واحتياج إلى اتحاد بطبيعة أقوى من طبيعتنا الضعيفة – هو اعتراف بضعفنا والتجاء إلى قوة الله التي تحولنا من أناس ضعفاء إلى أقوياء تحول من ***"ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت"*** إلى... ***"استطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني"*** .

هو اختبار الإيمان وقوته.

أما وسط الطريق فهو حب مقدس يؤدي إلى سلام كامل، انتصار، فرح، نمو و سلام. تأمل معي إنساناً يحب الله

ويعيش معه في سلام هل يصعب عليه تنفيذ وصايا الله الصعبة؟ إن كان الإنسان قد أحب الله ينبوع المحبة فإنه بلا شك سيحب أصدقاءه وأقرباءه وزملاءه، حتى أعداءه. وبالعكس نستطيع أن نؤكد أن الإنسان الذي يستثقل وصايا الله هو الإنسان الفاتر في علاقاته مع الله، لذلك عندما تفشل في تنفيذ وصايا الله فأنت في عدم سلام مع الله – بل قل أنك تعمل بطبيعتك البشرية الفاشلة وثمرتها الفشل التام وعليك أن تراجع علاقاتك مع الله أولاً قبل أن تراجعها مع الناس.

أما نهاية الطريق فهي الاتحاد الكامل بالمسيح، بل ستختبر ما هو أعمق أن المسيح ذاته هو الطريق وليس أحد سواه، ولو كان هناك طريق آخر غير المسيح لما كان هناك ضرورة لمجيء المسيح. والآن تعجب معنا يا أخي!، لم يعرف توما الطريق فقال ليسوع كيف نذهب للآب ونحن لم نعرف الطريق؟! فرد عليه يسوع قائلا في أسف عميق ***"أنا هو الطريق والحق والحياة"***.

لكن كانت هناك امرأة خاطئة سكبت الطيب على يسوع فأحبها وغفر لها خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً – وذلك العشار الذي وصل من طريق الاحتياج إلى يسوع فخرج مبرراً بعد صلاته، وماذا تقول عن اللص اليمين الذي عرف الطريق بينما لم يعرفه التلميذ! لذلك أرجو أن تدقق في حياتك يا أخي حتى ولو كنت تلميذاً ليسوع أو خادماً كبيراً أو صغيراً. هل أنت في الطريق؟

ويهمنا جداً أن نقتفي آثار الذين وصلوا فعلا إلى نهاية الطريق فهذا أضمن لنا من أن نختار لأنفسنا طرقاً غير مأمونة لذلك عندما نتعرض لشخصيات قابلت المسيح يوماً وتحدثت معه علينا أن نضع أنفسنا موضعها منتظرين كلمات الرب لها وكأنها موجهة إلينا.

مدارس أحد كنيسة السيدة العذراء

محرم بك – اجتماع الشباب - سنة ١٩٥٩

مقدمة الطبعة الثانية

هناك كتب كثيرة تملأ الدنيا ولكن هناك كتاباً واحداً معروفاً للجميع يسمى "الكتاب" - ذلك هو (الكتاب المقدس) - كذلك لكل إنسان طريقة في الحياة وما أكثر الطرق في العالم ،لكن هناك طريقاً واحداً يعرفه الجميع عندما تضاف إليه أداة التعريف ذلك هو "الطريق" المؤدي إلى الحياة الأبدية، ذلك هو يسوع الذي قال عن نفسه ***"أنا هو الطريق والحق والحياة"*** والعجيب في هذا الأمر أن يكون يسوع هو الحياة وهو في ذات الوقت "الطريق" المؤدي إلى الحياة - وهذا حق - لأنه بدون يسوع لا يقدر أحد أن يصل إلى الآب أو إلى الحياة الأبدية.

ولما كان موضوع الكتاب الذي بين أيدينا هو "الطريق إلى الحياة" فهو كتاب قديم جديد لأن موضوعه لا يتغير إذ أن يسوع هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. لذلك رأينا إعادة طباعته لأننا شعرنا أن إخوتنا من الشباب لم تتح لهم قراءته إذ نفذت طبعته الأولى منذ أكثر من عشر سنوات.

وهو كتاب جدير بأن يقرأه كل شاب، بل كل مؤمن صادق في إيمانه ورغبته في السير في طريق الحياة الأبدية، لأنه

يكشف عن انحرافات كثيرة نسير فيها، ربما عن غير قصد أو معرفة، فتنحرف بنا عن "الطريق" فنقضي العمر كله في جهاد وخدمة واستخدام لوسائط النعمة المتعددة المذخرة لنا في الكنيسة المقدسة، دون أن نتقدم تقدماً ملموساً في "الطريق".

فلتقبل يا أخانا الحبيب على قراءة هذا الكتاب الصغير (حجماً) الكبير (فائدة) بروح التأمل والصلاة الهادئة ليبارك الرب قراءتك فتستفيد الفائدة المرجوة وتسير بخطوات ثابتة ناظراً دائماً إلى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع.

نطلب لك هدا بشفاعة أمنا العذراء القديسة مريم وصلوات آبائنا القديسين الأطهار وتضرعات أبينا الطوباوي المكرم غبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس أطال الله حياته،

مدارس التربية الكنسية

بكنيسة السيدة العذراء بمحرم بك

طوبه ١٦٨٦ يناير ١٩٧٠

الباب الأول

بداية الطريق

+ الاتضاع: *"ومن يضع نفسه يرتفع"* لو ١٨: ١٤.

+ الجهاد: *"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية"* عب ١٢ : ٤ .

بداية الطريق... الاحتياج

دخل اثنان ليصليا في الهيكل أحدهما فريسي والآخر عشار، أما الفريسي فوقف يصلي قائلا *"اللهم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطئين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار، أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه - وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء بل قرع صدره قائلا اللهم ارحمني أنا الخاطئ، أقول أن هذا نزل مبرراً دون ذاك لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع"* (لو ١٨).

لو تركنا الحكم للناس لقال الجميع أن الفريسي أكثر براً من العشار وأقل ما يقال أنه أقل خطأ من العشار أما الرب فيرى

أن العشار الخاطئ أكثر براً دون ذاك لأنه إنسان متضع معترف بفشله بذاته.

وإذا تأملنا في شعور الاحتياج نجده اختباراً مزدوجاً، اختبار الاتضاع أولا ثم اختبار الإيمان ثانياً.

اختبار الاتضاع:

من منا لم يسع في عمل الخير، حتى ذلك العشار، ولكننا اختبرنا كلنا الضعف في صنع الخير لماذا لم يحس الفريسي بالضعف وبالاتضاع؟ لأنه نظر إلى الاخرين ***"لست مثل باقي الناس"*** أما العشار فنظر إلى نفسه ولم يستطيع أن يتطلع إلى الله لأنه عندما تأمل في الخطية الساكنة فيه وجدها خاطئة جداً فانسكب أمام الله مجاهداً ضدها.

[اولا] كيف نكتشف اخطاؤنا وضعف طبيعتنا؟

١– **بالتأمل الهادي:** فسقراط يضع هذا المبدأ كبداية لطريق الحكمة "اعرف نفسك" ان انساناً منهمكا في أمور تافهة هي ارتباكات هذا العالم يبخل بكل أسف أن يعطي نفسه وقتاً هادئاً يتأمل في ما صنعه في يومه أو يقف أمام

الله معترفاً بخطئه!! كم مرة تعهدت أمام الله أن أصنع براً وأصيبت تعهداتي بالفشل. ألا تعلم أن الذي يخطئ يكرر العمل الذي صنعه يهوذا - واليهود - وكل الذين أهانوا المسيح واحتقروه.

كيف اكشف أوغسطينوس أخطاءه وكتب اعترافاته؟ بتأمله في ماضيه - ولنرى كيف يحلل لنا بولس الرسول مشاعره إزاء هذا الاختبار.. أما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية لأني لست أعرف ما أنا أفعله إذ ليس ساكناً في جسدي أي شيء صالح...

ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت. (رو ٧) أن فترة الخلوة أمر ضروري ولازم لانكشاف النفس لصاحبها ويكفي أن يكون موضوعنا هو أخطاؤنا في حق الله.

وعلى العكس أن الذين في هذا العالم ويهتمون بأجسادهم وبأن يصنعوا بها منظراً حسناً صعب عليهم أن يكتشفوا هذه الحقائق.

لنرجع قليلا إلى العهد القديم لنكتشف ماهية الخطية وما هي آثارها وما هي عملية التطهير اللازمة للخلاص منها.

كان الخاطئ يعترف بخطئه، ويتطهر من ذنبه، ويقدم ذبيحة خطية واثم من أجل ذنبه، وكانت النار الموجودة على مذبح المحرقة لا تنطفئ لحظة واحدة شهادة على جرم الخطية واثمها، ومع كل هذا يا أخي يقول بولس الرسول في رسالته للعبرانيين ***"لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا"*** ، لذلك أتى المسيح وقدم نفسه ذبيحة خطية ***"لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة"*** .

والخطية في أية صورة من صورها هي تعد على الله وإساءة للنفس الإنسانية التي خلقها الله على صورته والتي اتحدت بالمسيح وصارت واحداً ***"أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية حاشا"*** أعلمت لماذا يتألم المسيح عندما نخطئ؟ لأننا جزء منه "متحدين معه" وهكذا مات المسيح وقام لكي لا نعيش فيما بعد لأنفسنا بل الذي مات وقام لأجلنا.

لذا يقول النبي ***"لك وحدك اخطأت والشر قدامك صنعت"*** فالخطية حتى لو كانت مختفية عن الناس فهي موجهة إلى الله - وهذا أيضاً ما دفع يوسف العفيف أن يرى خطأه مع امرأة فوطيفار موجهة لله فقال ***"كيف أصنع هذا الشر العظيم واخطئ إلى الله"*** .

وإن كنت تقف أمام الله فبأي حق تقف؟ ***"يارب من يسكن في مسكنك أو من يحل في جبل قدسك إلا السالك بلا عيب والمتكلم بالحق في قلبه"*** إن كانت السموات غير طاهرة أمامه، وإن كان ينسب إلى ملائكته حماقة فبأي جرأة تتقدم إليه؟! إنه طريق العشار - اقرع صدرك قائلا ***"اللهم ارحمني فأني خاطئ"*** .

كان بولس الرسول يتقدم إلى الله قائلا "أنه أول الخطاه"، لقد وصل بولس إلى معرفة مدى ضعفه البشري، ورأى الخطية ساكنة في جسده فعلم أنه بذاته أول الخطاه.

٢– التأمل الهادي يقود إلى انطلاق النفس: ان مجرد سكون حركات الجسد وحركات الفكر في العالم لكاف بأن

يجعل النفس تنشط لتعود إلى بارئها الرب يسوع. ان الموضع الطبيعي للنفس هو عند الله وعندما سقط الإنسان انهمك في خطايا جسده ولكن النفس مازالت تحن إلى الخير الأعظم وهو الله، هذا هو سر الميل الموجود فينا إلى الله وهذا هو سر حبنا للخير حتى ولو لم نفعله. لذلك فإن تحرر النفس يتبع هدوء الفكر، وهدوء الحواس وعدم الانشغال في العالم. ان هذا الاختبار البسيط لابد أن تكون قد لمسته يا أخي في هدوئك وربما في خلوة هادئة، كما أنك لابد قد اختبرت أنه يصعب الحديث البسيط والصلاة إلى الله عندما يكون الفكر منشغلا بالهموم الزائلة وربما اشتكيت مرات أنك لا تستطيع أن تصلي إلى الله. أعرفت السبب؟ انه عدم هدوء النفس.

٣- وفي هدوئك وخلوتك ستتحرر نفسك وستحس بخطاياك واضحة وتتلامس مع المسيح.

ستحس بأن يسوع يستطيع أن يبرر الفاجر، وأنه لم يأت لأجل الأبرار بل للأثمة وعلى ذلك فقد خلص العشار.

ويكفيك في خلوتك أن تتأمل في صليب رب المجد ففي هذا الصليب كسرت شوكة الموت التي هي الخطية، وعلى الصليب وضع إثم جميعنا لكي نقوم مع المسيح بلا خطية، وفي هذا الصليب بَيَّن الله محبته إذ ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا. وتتجلى محبة الله واضحة عندما نراه قد بذل ذاته من أجل الخطاه، ونحس بجرم الخطية التي صلبت يسوع.

أخيراً ستختم خلوتك بإحساس الكامل.

١– أن الخطية التي نصنعها هي اساءة للمسيح ذاته.

٢– أن كل عمل خاطئ نابع منا لفساد طبيعتنا.

٣– أن كل عمل صالح هو من الله لأنه صالح في طبيعته.

تدريب:

اهتم بأن تجلس في هدوء مع نفسك فترة محددة من الوقت متأملا فقط في خطاياك - ثم في صليب المسيح. ودوَّن ما يرشدك إليه الرب في تأملك.

[ثانيا] الجهاد ضد الخطية

"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية"

عب ١٢: ٤ ولتسأل نفسك هذا السؤال؟ ألسنا نشترك في تناول جسد الرب ودمه، وألسنا هياكل لروح الله القدوس الساكن فينا؟ فلماذا نعود إلى الخطية؟

الرد على ذلك بسيط جداً أن الله أعطانا حقاً كل هذه الامكانيات ولكن فالله لن يفرض علينا أمر خلاصنا بل هو واقف يقرع على الباب - إن فتحنا يدخل ويتعشى - فالخطوة الأولى هي من واجبنا وهى فتح الباب - وبعد ذلك يدخل ويتعشى ويصنع عجباً في حياتنا نصرة وحباً وفرحاً وسلاماً.

الخطوة الأولى هي ثمرة جهادنا التي هي بداية الطريق، حقاً أننا لا يمكن أن ننتصر وحدنا ولكن الله أيضاً لن يعمل في حياتنا إذا رفضنا ذلك ولم نطلبه.

"جاهدوا معي في الصلوات" هذه الطلبة التي طلبها بولس في أكثر من مرة في خدمته فهو يرى أن الله مصدر العطاء

لكن الله لن يعطى إلا بالجهاد في الصلاة. تأمل في قصة قاضي الظلم عندما قام وانصف المرأة من أجل كثرة لجاجتها. فلنجاهد في الصلاة، ولنجاهد حتى الدم ضد الخطية وملذات العالم ولنجاهد لنضبط أفكارنا وأنظارنا وحواسنا فلا نسمح بأن يدخل إلى داخل نفوسنا عن طريق الفكر أو النظر أو الحواس شيء لا يتفق مع قداسة نفوسنا ولنجاهد لكي ما نمتلئ من روح الله القدوس فيعمل في حياتنا ويعين ضعفاتنا ويحوَّل فشلنا إلى نجاح وضعفنا إلى قوة وسقوطنا إلى نصرة. أن الروح القدس الساكن فينا لن يعمل إلا بالصلاة والامتلاء والإلحاح في أخذ بركاته وقوته.

فالنصرة في حياتنا هي ثمرة جهادنا المؤازر بقوة الروح القدس.

وهنا يجب أن نتذكر دائماً أننا لن ننتصر بجهادنا وحده مهما كانت قوتنا وإرادتنا، كذلك لا يمكن أن يفرض الروح القدس علينا قوته.

ولكن أي جهاد نقصد؟ إنه جهاد الصلاة كما صارع يعقوب مع الرب وأخذ بركة منه ، وكما جاهد القديسون في صلواتهم في عرق ودموع وسجود وأصوام فهكذا ملكوت الله يغتصب وما حياة المجد والاتحاد مع الله إلا ثمرة هذا الجهاد في الصلاة.

أيضاً هو جهاد الامتناع عن شهوات العالم والحرمان، لذلك حسب الكتاب المقدس للوط جهاده ضد الخطية براً فيقول ***"وأنقذ لوطاً البار مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة إذ كان البار بالنظر والسمع وهو ساكن بينهم يعذب يوماً فيوماً نفسه البارة بالأفعال الأثيمة"*** ٢ بط ٢: ٧،٨. فبينما كان لوط ساكناً في وسط الأردياء كان يحفظ سمعه ونظره ونفسه بعيداً عن الخطية بجهاد مرير لذلك حسب له هذا براً، كذلك كان يوسف العفيف في صراعه مع امرأة فوطيفار فكان هذا سبباً قوياً في تدفق البركات الروحية عليه فيما بعد.

تدريب:

الامتلاء من الروح القدس هو اختبار الجهاد في الصلاة فعالج مشكلة روحية خاصة بالصلاة من أجلها بحرارة لكي يعطيك الرب لها حلا واستخدم السجود أثناء ذلك (المطانيات).

اختبار الإيمان:

لقد احتوى الكتاب المقدس على حياة كثير من رجال الإيمان في العهد القديم والجديد، ولقد كان الإيمان اختباراً لرجال الله، وعندما ما تزكى إيمانهم صاروا أولاداً لله... فما هو هذا الاختبار؟ هل اختبرت أن الله وحده هو الذي يقيم من الأموات؟ ويخلق من الموت حياة؟ هذا هو اختبار آبائنا.

"بالإيمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب. قدم الذي قبل المواعيد وحيده الذي قيل له أنه بإسحق يدعى لك نسل. إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات..."

عب ١١ : ١٧. بينما الله أعطى مواعيد كثيرة في اسحق وفي

نسله فهو اليوم يطلب من ابراهيم أن يقدمه ذبيحة فكيف ذلك؟

ولكن ابراهيم كان عالماً أن الله وحده قادر أن يقيم اسحق من الأموات ويقول عنه معلمنا بولس الرسول ***"الذي آمن به الذي يحيي الموتى ويدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة"*** رو ٤ : ١٧.

ونفس هذا الاختبار أجتازه بولس في آسيا ***"فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى يأسنا من الحياة أيضاً لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات"*** ٢كو ١ : ٨،٩. فتأمل ما معنى حكم الموت؟

كان بولس قد وصل إلى حالة من اليأس تمنعه من العمل وكان الوحيد الذي يستطيع أن يعمل هو الله الذي خلق من الموت حياة، فلو مرض بولس مرضاً بسيطاً فربما كان يرى الشفاء في الطب، ولو كانت له أية مشكلة عالمية فربما كان

يري الشفاء في ذهنه أو عند مشيريه، لكنه وصل إلى نهاية اليأس (الموت) فكانت الاقامة عند الله وحده، فهل اختبرت أن الله وحده قادر على حل كل مشكلاتك حتى ولو كانت لدرجة الموت؟ وهل اختبرت ما هو أعظم أن يغير الرب حالتك فيحولك من الضعف إلى القوة ومن الموت إلى الحياة؟!

إن إيماننا نحن لهو كمال إيمان ابراهيم إذ يقول معلمنا بولس الرسول لذلك حسب له براً ولكن لم يكتب من أجله وحده (لإبراهيم) أنه حسب له بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" رو ٤.

من أجل هذا يا أخي ترى أن الإيمان المطلوب منك هو الإيمان بقدرة الرب أن يموت من أجل خطايانا ويقوم بلا خطية، فنموت معه عن خطايانا ونقوم معه مبررين.

ولنا الآن سحابة من الشهود تضئ لنا طريق الإيمان، فبالإيمان الذي بيسوع المسيح اغتصب كل من المرأة الخاطئة، والغريبة الجنس الكنعانية والأبرص الغريب الجنس. واللص اليمين... اغتصبوا ملكوت السموات وخلص الجميع بإيمانهم بقدرة الرب على خلاصهم حتى ولو ماتوا في الخطية.

وإلى الآن أيها الحبيب هذا الإيمان يعمل في الكثيرين فعن من أحدثك؟ أعن شاول الذي كان يضطهد الكنيسة قبلا ويبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلا يتلفه؟ أم عن موسى الأسود الذي كان زعيماً للصوص فأصبح القديس المتضع؟ أم أوغسطينوس الذي اختبر حياة الشر والرذيلة وأصبح القديس البار الطاهر؟

لقد امتلأ تاريخ الكنيسة من سِّير هؤلاء الذين ساروا في الإيمان الكامل بخلاص يسوع، ونسير نحن الآن على إيمانهم، وأصبح الخلاص في حياتنا أمراً سهلا، لو أردنا ذلك.

فالله إذ مات لأجل خلاصنا، فهو واقف على الباب يقرع منتظر أن نتقدم إليه بإيمان معلنين إرادتنا في الخلاص. لماذا لم يعمل الله في حياة الكثيرين؟ لأنهم لم يتقدموا إليه بإيمان. فكل الذين تقدموا للمسيح في إيمان كان ينصف طلبهم بعد الالحاح والثقة والطلبة المتكررة وكلنا نتذكر كلمات السيد المسيح عن أورشليم ***"... كم مرة أردت أن أجمع أولادك... ولم تريدوا هوذا بيتكم يترك لكم خراباً"***.

نحن نملك مواعيد عظيمة، ونتمتع بخلاص هذا مقداره، فماذا تكون نهايتنا يا أخي إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟!

إذاً فلنتقدم بثقة إلى الله، بإيمان كامل بخلاصه العجيب واضعين تحت قدميه كل ما نريد أن نخلص منه عندئذ سننال خلاصاً عظيماً ويشترط أن نضع أمامه كل ما نريد أن نخلص منه لئلا نحتجز لنفوسنا بعض الأمور فيمنع الرب خلاصه عنا، كما فعل حنانيا وسفيره.

ويعرض لنا بولس الرسول أمثلة للإيمان العملي فيعطينا طرقاً اختبارية للإيمان وإن اختلفت الطريقة من واحد

لآخر، فيحدثنا عن طاعة هابيل، وأخنوخ الذي أرضى الرب بالإيمان، وابراهيم الذي لما دعي أطاع وتغرب بالإيمان لأنه نظر إلى المدينة التي لها الأساسات وقدم اسحق مؤمنا بأن الله سيقيمه من الأموات، وموسى الذي بالإيمان رفض مجد فرعون حاسباً عار المسيح غنى أعظم، وعن إيمان بني إسرائيل وطاعتهم وعبورهم البحر، وسقوط أسوار أريحا، وعن راحاب الزانية التي نجت عندما آمنت، وعن هؤلاء الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا براً، نالوا مواعيد، سدوا أفواه أسود. وعن هؤلاء الذين عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل (عب ١١).

كل هؤلاء الذين وضعهم بولس أمامنا كأمثلة للإيمان وطرق لاختبار الإيمان لكي ما نتعلم منها، لم ينالوا الموعد لكي لا يكملوا بدوننا... ولكي نتطلع إلى رئيس الإيمان ومكمله الرب يسوع (عب ١١ : ٤٠، ١٢: ٢).

تدريب:

اقرأ الاصحاح ١١، ١٢ من رسالة بولس الرسول للعبرانيين ودوِّن للنواحي العملية في حياة كل أب من آباء الإيمان واقتن طريقهم العملي في الإيمان بموت يسوع من أجل خلاصك وقيامته لأجل تبريرك.

+ + +

الباب الثاني

الحرية في الطريق

+ مفهوم الحرية: ***"لا تصيروا الحرية فرصة للجسد بل بالمحبة اخدموا بعضكم بعضا"*** غل ٥: ١٣.

+ الصليب طريق الحرية: ***"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في"*** غل ٢٠: ٢.

الحرية في الطريق

كثيرون دعي عليهم اسم المسيح، يواظبون على حضور الكنيسة وعلى الصلاة، وعلى التناول، ومع ذلك فهم ليسوا إلا عبيداً لهذا العالم، إذاً هم أعداء لله، إذ يقول معلمنا بولس الرسول ***"لأن اهتمام الجسد هو موت... ولأن اهتمام الجسد هو عداوة لله"*** رو ٨ : ٦، ٧. فالتحرر من قيود هذا العالم وشهواته وارتباكاته وهمومه أمر ضروري لسمو النفس واتصالها بالله.

ويمثل كتاب حياة الصلاة – النفس الإنسانية (التي مصدرها هو الله) بطائر يريد أن يطير ويحلق في مكانه

الطبيعي في السماء، لكنه مربوط بحبال وأربطة كثيرة بالأرض فكلما يحاول الانطلاق يسقط ثانية حتى تتكسر أجنحته ويتعب، وكان ينبغي قبل بدء الانطلاق التأكد من التحرر الكامل من هذه الرباطات.

اهتمام ا لجسد عداوة للّه

هل يقصد من ذلك عدم الاهتمام بضرورات الجسد من أكل ولبس وصحة؟

كلا بل الجسد ضروري كإناء لراحة النفس، فالنفس الإنسانية لا تستطيع أن تعبد الله بدون الجسد في هذه الحياة، ولكن هناك فرقا بين الاهتمام والاستعمال. مثال ذلك شاب يقضي ساعات ليرتب شعره وينظم لبسه ويصنع أموراً حسنة بجسده. فهذا إنسان مهتم بأمور الجسد، وعلى العكس هناك شاب آخر يستعمل اللباس كضرورة لحياة جسده، لا ينشغل بملبسه أو بمظهره ومع ذلك فمظهره وقور ولباسه حسن ولائق.

وما نقوله عن اللباس نقوله عن الطعام، فكم من أناس هم عبيد للطعام وشهوته، وآخرون يأكلون بالشكر كل ما يقدم لهم، فالعالم بكل ما فيه وسيلة نستعملها وليس غاية نستعبد لها في تفكيرنا واهتمامنا.

وكم من أناس انشغلوا بالمال إلى الحد الذي جعل كل تفكيرهم يبتعد عن الله ومع ذلك فهم لم يزيدوا عليه شيئا وفي هذا يقول بولس الرسول ***"الذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يشترون والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول"*** اكو ٧ : ٣٠، ٣١.

أرأيت معي يا أخي أن كثيرين يدَّعون أنهم يعبدون الله ومع ذلك فهم عبيد للعالم والجسد ولم يتحرروا بعد؟!

+ + +

الحرية في المسيحية

ما أكثر الحديث عن الحرية، فكل زعيم، وكل رسول، والمسيح ذاته تحدث عن الحرية، وستندهش عندما ترى أن المسيحية وحدها هي التي أعطت الحرية مفهومها الحقيقي.

+ فهناك من يقول بالتحرر من عبودية المستعمر.

+ وهناك الشاب الذي يقول بالتحرر من قيود المجتمع والأسرة والمدرسة، ويرى أن الحرية هي في أن يصنع ما يريد وما يشتهي، ليشبع شهوته الفكرية والجسدية، ويظن هذا الشاب أن في هذه الحرية سعادته، لكن الذين اختبروها قالوا أنها كانت مصدر تعاستهم.

+ وأراد أصحاب ما يسمى بعلم الأخلاق أن يضعوا للمعنى السابق معنى براقاً فقالوا أن الحرية هي أن تصنع ما تريد دون أن تعتدى على حرية غيرك وهو بذلك يريدون المحافظة على المجتمع وليس على سعادة الإنسان الذي

سيحرم من أمور كثيرة. فنجد أن الفرد قد حرم من سعادته وحريته في سبيل المعاني البراقة الزائفة.

+ وأعطى المنحرفون عن المبادئ المسيحية للحرية معنى متطرفاً خطيراً فنادوا بالتحرر من كل ما تنادى به الكنيسة، من أصوام وصلوات وطقوس وتقديس ليوم معين، هم يريدون المسيح فحسب فما الداعي لكل هذا، ففهموا الحرية على أنها عدم التقيد بسبت أو هلال أو عيد أو أية عبادة مهما كانت واختاروا الطريق السهل للوصول إلى الملكوت فإذ به طريق واسع لم يؤد بهم إلى ما كانوا يريدون.

ولقد سأل الشيطان السيد المسيح يوماً أن يدخل من هذا الطريق عندما صام فقال له ***"ان كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً"*** فرفض السيد المسيح عرض الشيطان متمسكا بالطريق الصعب وهذا ما يعرضه الشيطان على الكثيرين من المنحرفين قائلا تعالوا أريكم طريقاً أسهل !!!

+ أما الحرية الحقيقية في المسيحية فهي التحرر من عبودية الخطية وشهوات الجسد، هي انطلاق النفس التي تتحرر من الشر وتصنع الخير أيضاً بلا قيود، هي حرية للنفس التي تحب الله بلا مانع والناس بلا قيد من قيود الجسد والقرابة ***"إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً"*** هذه هي الحرية الحقيقية - هي التحرر من نير الخطية وقسوتها والاستعباد لها، ويقول معلمنا بطرس الرسول عن الذين لم يفهموا معنى الحرية ***"واعدين إياهم بالحرية وهم أنفسهم عبيد الفساد لأن ما انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضاً"*** (٢بط ٢ : ١٩). فهذه هي العبودية – فكم من أناس تحدثوا عن الحرية ووعدوا الآخرين بها وهم أنفسهم عبيد الفساد.

+ وحرية النفس تعني انطلاق النفس وعدم خضوعها للجسد فيقول بولس الرسول ***"كل الأشياء تحل لي ولكن ليس كل الأشياء توافق كل الأشياء تحل لي ولكن لا يتسلط على شيء"*** . فلسنا نصوم لكي نصير عبيداً للصوم

بل على العكس فإننا نصوم لكيما نتحرر من سلطان الجسد والشهوة ولكي لا يتسلط علينا شيء. ونحن لا نحضر صلوات القداس لكي نصير عبيداً لعادة حتى ولو كانت خَيِّرة - بل لنتحرر وننطلق بنفوسنا ونتقابل مع المسيح على المذبح - ولكيما يحل المسيح بالإيمان في قلوبنا ويحل بالجسد والدم في أجسادنا ويتحد بنا.

إذاً فلابد من الصوم لكي نتحرر حتى من كل نظام للأكل والشرب ولابد من حضور الكنيسة لكي تنطلق نفوسنا فتتحد مع الله. فالكنيسة تضع لنا أنظمة وترتيبات، لا لكى نستعبد لها، ولكن لكى تصبح وسيلة، لكيما تنطلق نفوسنا للاتحاد بالله.

فالذي اختبر الصوم وتعلم وعلم نفسه متى يأكل ومتى لا يأكل ومتى يمتنع عن بعض الأطعمة بإرادته، هو الذي يعرف كيف يمتنع عن الشر بإرادته وكيف يعمل الخير بإرادته، هو الذي يقدر أن يحب الغير حتى لو كان هذا الغير هو عدوه - هو الذي يعلم كيف **"يقمع جسده ويستعبده**

لكي لا يصير مرفوضاً" ١كو ٩ : ٢٧. وهو الذى يقّوت جسده ويربيه كوزنة وعطية من الله لكي يخدم به الله. من هذا ترى كيف فهم بعض المتطرفين الحرية فهما خاطئاً، فنادوا: لا صوم ولا حضور قداس بل المسيح فقط – حقاً أنهم قد خسروا المسيح أيضاً!!

والكنيسة تضع ترتيباتها لكي تربح الجميع - فالكنيسة لم تضع نظام صيامها وصلواتها وعبادتها للسواح ولباس الصليب وما هم في مستوى الرسل والقديسين، بل وضعته للجميع لكي تضع سوراً يحرس الجميع، وطريقاً يسير فيه الجميع، ويأخذ كل حسبما يطيق، ويعيش بحريته، ليس حرية الجسد بل حرية النفس.

+ ويتعمق بولس الرسول في معنى الحرية وينتقل بنا إلى المعنى الايجابي وهو في حقيقة الأمر ثمرة شهية للتحرر من الخطية وانطلاق النفس واتحادها بالله، فيقول ***"كل الأشياء تحل لي ولكن ليس كل الأشياء تبنى، لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر"*** كو١٠ : ٢٣-

٢٤. ***"كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا "*** ١كو١٠: ٣٣. ***"لذلك إن كان طعام يعثر أخي فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخي..."*** . ١كو ٨ : ١٣.

وهكذا أصبح التحرر من الأكل والشرب ليس لانطلاق نفسى فحسب بل أيضاً لعدم عثرة أخي ولخلاص أخي الذى مات المسيح لأجله. وفي هذا يقول يعقوب الرسول ***"فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له"*** يع ٤ : ١٧. وهكذا ينطلق بنا يعقوب الرسول إلى أعلى مراحل انطلاق النفس لا لكي تعيش لنفسها بل للآخرين.

"ليكن فينا هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس - فلا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضا" فيلبي ٢ : ٤. فالمسيحية ليس فيها انطواء على النفس بل هي حرية إيجابية خَيِّرة

عاملة لأجل الجميع، حتى هؤلاء الذين حجزوا نفوسهم مبدئياً للاتحاد بالله لم يستطيعوا أن يحجزوها عن فعل الخير عندما دعا الداعي. فهذا أنطونيوس المتوحد الذي هرب من الناس تقدم بسرعة للإسكندرية لكي يساعد أثناسيوس في الدفاع عن الأرثوذكسية.

وهكذا كان يجول السيد المسيح طوال يومه يصنع خيراً ويشفي كل مرض، يصنع الخير للجميع بلا مقابل حتى الذين صلبوه، طلب لهم مغفرة الخطايا، وهكذا أيضاً صنع اسطفانوس كما صنع إلهه فطلب من الله أن لا يقيم الخطية لراجميه - وهكذا تفانى خدام الكنيسة الأولى سائرين في طريق المسيح حتى الموت لكي يخلصوا الآخرين. وهكذا لم يعش إنسان مسيحي لأجل نفسه بل لأجل الآخرين.

تدريب:

اجلس إلى نفسك وصارحها في الكشف عن الرباطات التي تعوق تحررك وقدمها للمسيح في صلواتك ليعطيك تحرراً منها.

الصليب طريق للحرية:

"من أراد أن يكون لي تلميذاً فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" الصليب بآلامه وبضيقاته ضرورة ملحة للوصول إلى المسيح، والصليب حمل ثقيل للذين لم يحررهم المسيح بعد وعلى العكس فالصليب ليس حملا هيناً فحسب بل شهوة للذين حررهم المسيح، لذلك بحث عنه القديسون بحريتهم وإرادتهم.

عندما صدر الأمر من الوالي - الحاكم بأمر الله - أن يحمل كل إنسان مسيحي صليباً وزنة خمسة أرطال، حمله البعض مجبرين متضايقين فوجدوه ثقيلا... وهناك في ليلة من الليالي مر الحاكم متخفياً على منزل فسمع صوتاً، فنظر من

ثقب الباب فوجد مسيحياً يعمل في نول ويحمل صليبه وكلما تحرك النول تحرك الصليب على عنقه..

وهكذا بينما حمل الكثيرون الصليب مضطرين في الشارع حمله هذا المسيحي في منزله بحريته وبإرادته، بشغف وبحب وانطلقت إرادته لتتعدى حدود الشارع - وحدود رقابة الوالي، إلى الوجود الدائم أمام الله.

فعندما يمتنع الشاب المسيحي بإرادته عن شهوات العالم مسمراً إياها على الصليب، يرى في ذلك لذة وسروراً وفرحاً وسلاماً، بينما يراه الذين من خارج إنساناً محروماً من ملذات العالم وربما تشَّدقوا عليه حتى زملاؤه في الكنيسة بأنه يعيش في كبت وضيق وحرمان ولم يعلموا أنه في عمق السعادة لأنه يحمل الصليب بحريته فينال بركات الصليب وسعادته. وقف ذلك الراهب يوماً يعاتب الله، لماذا نسيتني هذا العام ولم ترسل لي آلاماً...؟

إن أعجب ما في المسيحية هو الصليب، إن الديانات الأخرى عندما بشرت الناس بدعوتها وعدتهم بالحياة

المادية السعيدة في هذا العالم، ولكن ما أعجبك يارب لأنك إله تعرف كل ما في العالم فنقول ***"سيكون لكم في العالم ضيق"*** ، ***"أدخلوا من الباب الضيق"*** ، ***"إن محبة العالم عداوة لله"*** - ومع ذلك انتشرت رسالة المسيح بلا رمح ولا سيف.. عجباً... عجباً... لقد كشف الله حقيقة العالم وفضحه وأراد أن نحدد موقفنا منه، فتركنا العالم بحريتنا من أجل محبتنا في المسيح.. وعندما سرنا معه في الطريق تدفقت علينا البركات حتى المادية منها، فنجح الإنسان المسيحي في عمله، وربح التاجر المسيحي كثيراً.. وأخذنا مائة ضعف في هذا العالم. عجباً ما هذا ... إن العطايا المادية تعطي للأبرار والأشرار والله لا يتأخر أن يعطيها لنا كثمر لحياتنا معه، ولكن بالعكس، لو سرنا مع الله لكي نجعله وسيلة لأخذ البركات المادية، فسيتخلى الله عنا فتنفضح حياتنا أمام الآخرين ***"أطلبوا ملكوت الله وبره.. وهذه كلها تزاد لكم"*** إن الطريق في المسيحية هو طريق الصليب، ولكنه ليس ثقيلا ومؤلماً حتى ولو بدا كذلك أمام الآخرين.

تأمل أيها الحبيب في صليب المسيح... بينما هو في شدة الآلام الجسدية يقول بولس الرسول عنه ***"من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الآلام آلام الصليب"*** .

وهناك في أعماق سجن فيلبي دخل مسجونان غريبان، ضربا ضرباً مبرحاً ووضعت أرجلهما في المقطرة وطرحا في السجن الداخلي، وتقاطر الدم من أرجلهما ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان أنهما يرنمان ويسبحان الرب في منتصف الليل، وقام جميع المسجونين ليشهدوا مشهداً رائعاً من ثمار الصليب، فالآلام في الجسد، والسلام والفرح الكامل في النفس. صليب الجسد أصبح مصدر فرح وسعادة للنفس. وكانت نفس بولس وسيلا متهللة، فآمن السجان ولابد أن يكون المسجونون قد آمنوا أيضا وإن لم يتعرض لوقا البشير لهذه الناحية في سفر أعمال الرسل.

ومرة أخرى ***"أحضر رؤساء الكهنة والكتبة الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع وأطلقوهم. أما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم***

حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه وكانوا لايزالون كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح...".

أي قوة في حمل الصليب الذي يستطيع أن يحول الضيق إلى فرح والألم الجسدي إلى سعادة روحية، فمرحبا بالصليب؟! وإن الصليب ضرورة للسير في الطريق فسنحمله لا لأنه ضرورة بل لأنه مصدر سعادتنا وفرحنا، سنحمله بإرادتنا وبحريتنا ونحن مسرورون كما حمله المسيح من أجل السرور الموضوع أمامه.

ولقد تبارى القديسون في حمل صليب الآلام فتحملوا الاضطهاد وقال عنهم الكتاب ***"عذبوا ولم يقبلوا النجاة.. تجربوا في هزء وجلد ثم في قيود أيضاً وحبسُ، رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلا بالسيف طافوا في جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين، وهم لم يكن العالم مستحقا لهم، تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق الأرض"*** عب ١١ : ٣٥ - ٣٨.

ولكن ما هو أروع من ذلك وأعظم بكثير.. عندما يبحث القديسون عن الصليب في الخارج ليحملوه ولا يجدوه، عندئذ يدخلون إلى نفوسهم ويغلقون الباب ويحملون صلباناً داخلية كما يقول كتاب مرشد الطريق إلى الملكوت "عندما لا يجد الإنسان ضيقات خارجية يجلس إلى نفسه ويبحث عن أخطائه فيتذلل أمام الله في صلوات وأصوام ويحَّمل نفسه صليبا من الداخل ليحس بلذة الصليب ويبحث عن فضيلة يطلبها من الله بدموع كثيرة وصلوات وسجود وتقشف واجداً لذة في تحمله صليبا داخليا".

تدريب: إذا لم تكن قد حملت الصليب بعد... فاجلس إلى نفسك واحضر أهواءك وأخطاءك مسمراً إياها على الصليب ليس في ضيق وحصر ولكن في لذة وسرور مستعينا بالرب يسوع في صلوات الذي يحوَّل النير الثقيل إلى حمل هين.

+ + +

الباب الثالث

الحب المقدس في الطريق

+ مقياس الحب في العبادة: ***"غفرت خطاياها الكثيرة لأنها احبت كثيرا والذي يغفر له قليل يحب قليلا"*** لو ٧ : ٤٧.

الطريق إلى محبة اللّه:

+ بالشكر: ***"اشكروا الرب فإنه صالح وإن إلى الأبد رحمته"*** مز ١٣٦.

+ بالتأمل في الصليب: ***"اللّه يبين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا"*** رو ٥ : ٨.

الحب المقدس ... في الطريق

"وسأله واحد من الفريسين أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ، وإذا بامرأة في المدينة كانت خاطئة.. جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب فلما رأى الفريسي

الذي دعاه تكلم في نفسه قائلا... أنها خاطئة... ثم التفت إلى المرأة وقال لسمعان... إني دخلت بيتك وماء لأجل رجلي لم تعط وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع.. ومسحتهما بشعر رأسها. قبلة لم تقبلني وأما هي فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي. بزيت لم تدهن رأسي وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً والذي يغفر له قليل يحب قليلا" لو ٧ : ٣٦- ٤٨.

+أن الطريق إلى المسيح سهل، يصل إليه الإنسان البسيط، طريق سلكته المرأة الخاطئة... هو طريق الحب المقدس ***"لأنها أحبت كثيراً غفرت لها خطاياها الكثيرة"***.

اعترض الفريسي الذي دعى السيد المسيح وشك في لاهوت المسيح وقال في نفسه ***"لو كان هذا نبياً لعلم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي، إنها خاطئة"***، وفي حادثة مشابهة اعترض يهوذا عندما صنعت مريم أخت لعازر مثل هذا العمل قائلا ***"لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار***

ويعطي للفقراء" يو ١٢ : ٥... وهل الله يهمه الكم يا يهوذا أم النوع؟ لقد امتدح الرب وطوَّب التي أعطت فلسين لا يسدان رمق محتاج، وأمر أن تذكر قصة تلك المرأة أينما كرز بهذا الإنجيل. تأمل معي عندما نقارن المرأة الخاطئة وصاحبة الفلسين بالتلاميذ في أيام المسيح الأخيرة ... أيهما عرف المسيح وعرف الطريق؟...

الجواب: تلك التي أحبت كثيراً عرفت يسوع **مخلصا لها** بينما لم يقبله التلاميذ في ذلك الوقت كمخلص.

وأراد السيد المسيح أن يعطينا درسا عمليا في "الكم والنوع" في قصة المرأة التي أعطت فلسين في الخزانة. إن كثرة أصوامنا وصلواتنا وقراءاتنا في الكتب المقدسة وعطاءاتنا سوف لا تكون موضع فخرنا في اليوم الأخير وإلا لسبقنا في ذلك الكتبة والفريسيون ولكننا سنندهش عندما نجد أن الذين سيسبقونا إلى المجد هم من أمثال المرأة الخاطئة، كذلك الفقراء الذين **اعطوا من اعوازهم** والذين ظننا يوما ما أننا سنسبقهم للمجد لأننا **اعطيناهم كثيرا،**

كذلك سيسبقنا الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة ولم يقرأوا الكتاب المقدس مثلنا بل علموا وآمنوا فقط أن الرب يسوع مات لأجل خلاصهم وقام لأجل تبريرهم.

هل جاهد كل هؤلاء للوصول إلى المسيح قدر ما جاهدنا؟ وتعبوا ودرسوا... مثل ما صنعنا؟ كلا ولكن قلبهم البسيط قد امتلأ بالحب الكبير للمسيح.

إذاً فلنتذكر دائماً أن كل ما نعمله حتى ولو كان خيراً في ذاته لكنه خال من الحب والشوق للمسيح هو نفاية ومهما استفاد الآخرون منه فنحن لا ننتفع شيئاً، ***"وماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه"***.

والآن لنقيس عباداتنا المختلفة على مقياس الحب المقدس...

+ + +

[أولاً] الصلاة

الصلاة في الواقع هي تعبير عن إحساساتنا ومشاعرنا واحتياجاتنا نحو الله فهي أمر لا يخص الله وحده. ولكن على العكس فهو يخصنا نحن من ناحية علاقتنا بالله، فالذي يصلي لأنه يؤدي واجبا عليه نحو الله فليعلم أن الله ليس بمحتاج إلى هذا الواجب، ولكن الصلاة أمر خاص به هو.

إذاً ما هي دوافع الصلاة؟... إنها تعبير عن شوق كامن في أعماق النفس للتحدث إلى الله. هي مناجاة بين العريس وعروسه، ويلذ للعريس أن يسمع صوت العروس بل إنه يرجو أن يسمع صوتها ***"هأنذا واقف أقرع على الباب.."*** وأمر فتح الباب في يدنا نحن. أو قل إن الصلاة هي كحديث الابن إلى أبيه في شوق وحب عميق وبهذا الإحساس يجب أن نتقدم إلى الله ونصلي، وإن كنا صلينا كثيراً ولم نأخذ فلماذا؟ كم مرة حضرت القداس الإلهي ولم آخذ شيئا؟ فلماذا؟... اسأل نفسك بأي شعور حضرت القداس هل

بشعور الشوق والحب للمسيح، وكان هذا الشعور عمليا فدفعك للاستيقاظ مبكراً إذ أنت تنتظر تلك الساعة بفارغ الصبر، وبعد ذلك صليت إلى الله كي يعطيك ويشبع حاجاتك، وعندما وصلت إلى البيت المقدس هل شكرت الله معبراً عن حبك له عن طريق صلاة جميلة. أو سجود هادئ أو إيقاد شمعة أمام أيقونة قديس ... كتعبير عن مدى حبك له، وهكذا وقفت طوال القداس تتحدث مع الله بلا رقيب ملتهبة مشاعرك عندما تتأمل في كم صنع الرب من أجلك...متطلعا إلى فوق فترى يسوع مصلوبا على باب الهيكل فتتذكر الحب الكثير من أجلك وتتأمل بين الحين والآخر فتجد نفسك تعيش مع الرب والملائكة والقديسين، بل أكثر من ذلك تلك الدعوة الموجهة إليك لكي ما تشترك في تلك الوليمة المقدسة لكي ما تكون واحداً في المسيح يسوع؟

أم على العكس تقوم من نومك متكاسلا وتذهب متأخراً وتقف متمللا، وبعد ذلك لا تأخذ شيئا.

وما الذي يدفعك لصلاتك الفردية؟ هل هو حب وشوق ليسوع وحديث بلا رقيب، مقدما لله شكراً معبراً عن ذلك بتنهد... أو بدمعة... أو بسجود... أو بكلمات بسيطة... أو تسأله عن أسرار ملكوته... أو عن طلباتك وما تريد من فضائل ومقومات لحياتك الروحية، وتطلب بإصرار تواضعا وانسحاقا وحبا. وإن كان الأمر كذلك ألا يدفعك ذلك لكي تشكر المسيح إلهك في كل أوقات النهار متذكراً محبته لك بين الحين والآخر، وتتحول حياتك حينئذ إلى صلاة مستمرة في كل لحظة "أما أنا فصلاة" مردداً كلمات بسيطة في كل أعمالك - أشكرك يا ربي يسوع المسيح - أرحمني ياربي يسوع المسيح - ساعدني ياربي يسوع المسيح - أمجدك ياربي يسوع المسيح. "راجع كتاب مذكرات سائح روسي" (صلاة يسوع).

بهذا تستطيع أن تدخل أيها الحبيب كما دخلت المرأة الخاطئة وتقترب إلى يسوع وتريه قلبك ودموعك وحبك وأشواقك نحوه فيتطلع إليك بنظرة جذابة وديعة كلها حب

وإخلاص ويعطيك كل ما تريد وأكثر مما تريد حتى ولو كانت خطاياك أكثر من خطايا المرأة الخاطئة.

لقد كان القديسون ينسون أنفسهم في الصلاة إذ يغلبهم الحب المقدس للمسيح... فلقد كان القديس أرسانيوس يصلي عند الغروب ويستمر هكذا حتى يفاجأ بأن الشمس تطلع في الصباح وتشرق من أمامه فيحس أن الصباح قد أتى.

وتقول قسمة الصوم المقدس عن هؤلاء القديسين أنهم سكنوا الجبال والبراري وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح.

[ثانيا] قراءة الكتاب المقدس

إن كانت الصلاة هي تعبير عن شوق كامن في أعماق النفس إلى التحدث، فدراسة الكتاب المقدس هي اشتياق للاستماع إلى الله. دخل السيد المسيح بيت لعازر وكان يتحدث كما هي عادته عن أمور ملكوته وخلاصه الثمين، فاشتاقت مريم إلى ذلك الحديث فنسيت نفسها وأخذت

تسمعه في لذة وشوق وحب كامل، ونقدتها أختها، إذ كيف أن تلك الفتاة تترك عمل المنزل من إعداد للوليمة لكي تجلس وتستمع إلى يسوع.. إن حبها وأشواقها إلى يسوع دفعها لكي ما تنسى كل هذا وتجلس تحت قدميه وتستمع ، وهكذا نالت النصيب الصالح الذي لن ينزع منها. وبنفس الطريقة وصلت المرأة الخاطئة إلى السيد المسيح، فهي امرأة خاطئة معروفة في المدينة كلها، كان أفضل لها ما دامت هذه الجموع مجتمعة والجميع يعرفونها أن تتوارى بعيداً عنهم لعلها تخلص من نقدهم وكلماتهم وتصوراتهم اللاذعة، ولكنها نسيت كل ذلك وتقدمت بحب كثير لتستمع إلى كلمات يسوع الحية الحلوة المعزية... مغفورة لك خطاياك.

إن قصة المرأة الخاطئة ومريم أخت لعازر لم يذكرا في الكتاب لذاتهما ولكنهما ذكرا لأجلنا لكي نعيش معهما في مشاعرهما ونصل إلى يسوع ونأخذ كما أخذوا وتلتهب قلوبنا شوقاً أكثر فأكثر إلى سماع كلماته المحيية. إن الإنسان

يشتاق دائماً وبدون ملل أن يستمع إلى أحاديث أحبائه... فكم بالحرى ينبغي أن يزداد إشتياقنا إلى حديث حبيبنا الذي ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل منا.

والآن فلنراجع ذواتنا كيف نستمع إلى يسوع ونقرأ في كتابه المقدس... هل لكي يزداد علمنا ومعرفتنا عن المسيح، أو لكي ما نتفاخر بما حفظنا، أو لكي نحضر دروساً متقنة لمدارس الأحد أو لمجرد عادة وواجب إذ علينا أن نقرأ كل ليلة إصحاحاً، ولا يمكن أن يمضي يوم من حياتنا دون أن نقرأ فيه إصحاحاً أو ما يزيد؟؟ أو لأننا وضعنا برنامجاً لدراسة الكتاب في عام...؟ كل ذلك حسن، ولكن ماذا استفدت في حياتك وعلاقاتك مع يسوع عندما حفظت، أو عرفت، أو حضَّرت درسك، أو أديت واجبك؟ كان ينبغي أن تقرأ باشتياق وبلا ملل في حب عميق إلى كلمات الحبيب، ولعلنا نجد في المزمور ١١٩ نموذجاً قويا عن داود النبي ومدى اشتياقه لسماع كلمات الله فيقول ***"انسحقت نفسي شوقا إلى أحكامك في كل حين"*** ٣٠، ***"أيضاً شهاداتك هي***

"لذتي أهل مشورتي" ٢٤، ***"وأتلذذ بوصاياك التي أحببت"*** ٤٧، ***"شريعة فمك خير لي من ألوف ذهب وفضة"*** ٧٢، ***"أبتهج بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة"*** ١٦٢.

وهكذا هل يدفعك الشوق والحب المقدس للمسيح إلى القراءة؟ إن كان ذلك فطوباك، وإن لم يكن فما زلت بعيداً عن الطريق، عليك أن تقيس قراءاتك بهذا الترمومتر، لعلك تستطيع أن تدرك... هل أنت حار أم فاتر؟!!

+ + +

[ثالثا] الصدقة (العطاء)

"مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" أع ٢٠: ٣٥.

فلسفة عجيبة تبدو في ظاهرها أنها غير صحيحة، وإن كنا نرى في الكثير من أهل هذا العالم من يستعمل هذا المبدأ... فالتاجر الحكيم يعطي أولا، ثم بعد ذلك يأخذ كثيراً. هل يقل مال الذي يعطى أم يزيد؟؟ كلا بل يزيد، إذ ينال مائة ضعف في الزمان الحاضر والحياة الأبدية في العالم الآتي.

إذاً ، ما هو ميزان العطاء المقبول؟...إننا نعطي كثيراً ولا نأخذ مائة ضعف في هذا العالم، ذلك لأننا نعطي لكي نأخذ مائة ضعف ينبغي أن نعطي لأننا نحب المسيح، ولأجله فقط، عندئذ لا يتأخر الرب يسوع أن يعطينا كل شيء، ولكنه لا يسمح أن يكون السير معه أو العطاء كوسيلة للمكسب المادي، عندئذ سيتخلى عنا ..إذاً لنعطي لأجل حبنا للمسيح. وفي مرات كثيرة يحاول عدو الخير أن يجعلنا ننحرف عن هذا المبدأ، لكي لا نأخذ فنخسر في هذا العالم والعالم الآخر. فعندما نفكر في أن نعطي يحاول الشيطان أن يمنعنا، وإن أعطينا يحاول أن يضيع أجرنا بأن يجعل عطاؤنا أمام الناس. وإن أعطينا سراً يسقطنا في الكبرياء أمام نفوسنا. وإن فشل في كل ذلك يدفعنا كي ما نعطي لمجرد إتمام وصية أو لتأدية واجب أو كنوع من الخدمة الاجتماعية.

كل هذا حسن ولكي يجدر بنا أن نعطي لأجل حب في المسيح لأن الفقراء هم إخوة المسيح ***"ما فعلتموه بأحد***

إخوتي الأصاغر فبي أنا قد فعلتم" مت ٢٥. وبهذا سنقدر الفقير لأنه أخو المسيح، وسنحبه أيضا، وسيصبح قلبنا محباً متسعاً، وكلما ازداد حبنا كلما صار قلبنا أشد التصاقا بالله.

ولعلنا في القصة التالية نجد تأكيداً لهذا المبدأ... "قام ذلك الإسكافي من نومه بعد ليلة قارصة البرد، وبعد أن حلم أثناء نومه أن السيد المسيح سيقابله في هذا اليوم، فأسرع واعد أكلا شهياً وأحضر شرابا ساخنا، لعل المسيح عند زيارته يكون محتاجا إلى الدفء، وأعد كل شيء. ولكن طال الانتظار ولم يأتِ المسيح. فتطلع من النافذة فوجد رجلا مغطيا وجهه ومعه عكازه - آتيا من بعيد، فظن أنه لابد أن يكون المسيح، فقام لاستقباله وعندما لاقاه وتحقق أنه ليس إلا رجلا عجوزاً، قد أعياه البرد، يكاد يقضي عليه ، فأدخله سريعا، وقدم له الشراب الدافئ، وبعد قليل قدم له من الطعام المعد حتى شبع، ولكنه كان يرتعش من شدة البرد، فخلع معطفه وألبسه إياه ...ثم قام ورحل...وظل

الاسكافي منتظراً مجيء المسيح، حتى أمسى اليوم وأصبح مؤكداً عدم سير أحد في الطريق... فدخل إلى مخدعه ليقرأ في الكتاب المقدس. فقرأ ***"ثم يقول الملك الذين عن يمينه، تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبا فآويتموني، عرياناً فكسوتموني..." فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين..يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك، أو عطشانا فسقيناك، ومتى رأيناك غريبا فآويناك، أو عريانا فكسوناك، فيجيب الملك ويقول "الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي الأصاغر فبي فعلتم"*** مت ٢٥. وعندما أتم قراءته - أغلق الكتاب - ووقف يصلي شاكراً الرب، الذي شرفه بزيارته الكريمة في صورة ذلك العجوز، وشكره بالأكثر من أجل أنه قام بالواجب نحو أخ المسيح الصغير.

من المنتفع بالعطاء؟

لنعود إلى التي سكبت قارورة طيب غالية الثمن على يسوع، اعترض يهوذا وفكر في الفقراء، وتمنى لو دفعت تلك المرأة هذا المبلغ للفقراء...

مبدأ خاطئ وخطير يدل على عدم فهم الحقائق المسيحية، **فليس المنتفع بالعطاء هم الفقراء... بل الذين يعطون.** فالفقراء يستطيع الله أن يعطيهم بل ويشبعهم. ولكن ما يطلبه الرب هو قلبك الممتلئ رحمة وحباً، لذا أحب الرب تلك المرأة التي أعطت فلسين لا يمكن أن يسدا رمق إنسان، بل طوَّبها إذ رأى قلبها مملوءاً حبا للرب ولإخوة الرب لذا ينبغي أن نزن صدقاتنا وعطاءنا ليس بمقياس الكم بل بمقياس الحب الذي يملأ القلب، ولهذا السبب تذكر الكنيسة في أوشية القرابين، الذين يعطون، ***"والذين ارادوا أن يعطوا وليس لهم..."*** ، إذ أن الرب يرى قلوبهم مملوءة حباً، ويكفيه أن القلب أصبح كقلب الله.

حدثت يوماً مجاعة شديدة بسبب قلة الأمطار في الصحراء، وكان أحد الآباء القديسين الرهبان، يحصل على ثلاثة أرغفة، كان عليه أن يأكلها ليعيش ولا يعلم ما يحدث بعدها، ولكن حدث أن مر رجل أعرابي يطلب خبزاً من شدة الجوع، فتطلع إليه بقلبه الكبير المملوء حباً، وأعطاه واحدة، وبعد قليل مر رجل آخر فأعطاه الثانية، وأخيراً مر رجل ثالث، فلم يستطع أن يحجز هذا القديس الخبزة الثالثة، إذ من أجل محبته، فضل أن يجوع ويشبع الإعرابي، متمثلا بالسيد المسيح الذي قال عنه القديس بولس ***"إنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره"*** ٢كو ٨ : ٩. فتطلع الله ورأى على الأرض قلباً رحيماً محباً كقلبه، فلم يستطع أن يحجز المطر عن البرية، من أجل محبة ذلك القديس وقلبه المتسع.

+ + +

[رابعا] الخدمة

عندما نتحدث عن العطاء لا نقصد المال فحسب، بل هناك عطاء من الوقت والجهد والكرامة والطاعة...

إن الخدمة في عصرنا الحاضر تختلف بلا شك عن الخدمة الكنيسة الأولى، والخدام كثيرون، ولكل فكرته الخاصة عن الخدمة... فهذا يعطي من وقته لأجل حب الظهور، ولكي ما يأخذ مجداً من الناس، وإن لم يأخذ هذا المجد فلابد أن يترك الخدمة، وهذا يعطي لأجل تقضية وقت الفراغ، ولذلك فهو يعتذر عن الخدمة عندما يكون مشغولا بأمور هذا العالم، وآخر يتعب ويكد بدون هدف.

ولكن هناك خدمة واحدة مقبولة، هي خدمة ذلك الإنسان الذي أحب المسيح من أجل أنه تمتع بالخلاص العظيم، وامتلأ قلبه بالمحبة ليسوع المسيح.. ثم فاض هذا القلب بالمحبة، فاندفعت إلى الآخرين تسعى بجد، وتتعب لأجل خلاص الآخرين، وعلى هذا - إن لم يكن يسوع

المسيح نفسه هو حجر الزاوية، وحبنا له هو الذي يدفعنا لكي نربح الآخرين، فستفتر خدمتنا وتموت.

ولنتساءل الآن لماذا فترت خدمتنا في هذه الأيام؟

لأنه لأجل كثرة الإثم فترت محبة الكثيرين... من نحو إلهنا، ومن نحو الآخرين فاختفت الدموع التي تسكب من أجل البعيدين عن المسيح، وتحولت خدمتنا إلى عمل مادي ليس فيه روح، وأصبح تحضيرنا لدروسنا هو عملية تربوية صرفة، تهتم فيما هو ظاهري ومادي، وانقلبت مقاييس النجاح في الخدمة، حتى ولو هلكت فيها نفوس وابتعدت عن المسيح، أما الضيق والتعب فلا نقبله في خدمتنا، واهتممنا بالعدد، وأصبح هو مقياس النجاح، فكثر العدد في اجتماعاتنا وحفلاتنا، وفتر الكثيرون في الروح، وفي حضور الكنيسة، وفي فهم كلمة الله. فأصبحت خدمة جامدة" ليس فيها حب لخلاص الآخرين.

ولكن كيف خدم يسوع... في حب كامل، فسار مسافة طويلة عند وقت الظهيرة، لكي ما ينقذ المرأة السامرية

ويخلصها. وبارك المرأة الخاطئة، ولم يهتم **بالرجل العظيم** الذي دعاه للحفل، وأعلن أن السماء تفرح بخاطئ واحد يتوب أكثر من ٩٩ باراً لا يحتاجون لتوبة، ولم يهتم **بالعدد وبالمظهر**، وفرح فرحاً عظيما عندما وجد الدرهم المفقود والخروف الضال، وعانق ابنه عندما رجع إليه .

هكذا أيها العزيز إن كنت تريد خدمة مقبولة، وصفقة رابحة فقس خدمتك بمقياس الحب المقدس للمسيح الذي ***"بيَّن محبته لنا إذ ونحن بعد خطاه مات المسيح لأجلنا"*** بل ينبغي أن يمتلئ قلبنا بالحب لأجل خلاص الآخرين ***"إنه على كل وجه، سواء كان بعلة أم بحق ينادي بالمسيح وبهذا أنا أفرح، بل سأفرح أيضاً"*** في ١ : ١٨.

وهكذا بولس الرسول يعرف حقيقة الخدمة وجوهرها، معبراً عنها في آياته الخالدة قائلا... ***"لأني حافظكم في قلبي وفي وثقي وفي المحاماة عن الإنجيل..."*** في ١ : ٧، بل وفي خطابه الأخير من ميليتس إلى قسوس الكنيسة في أفسس، فيقول في أع ٢٠ ***"كيف كنت معكم كل الزمان، أخدم***

الرب بكل تواضع ودموع كثيرة، وبتجارب... ولكنني لست أحتسب لشيء ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرح سعيي، والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله ... متذكرين أني ثلاث سنين، ليلا ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد..." أع ٢٠ : ١٨ - ٣١.

خدمة الحب المقدس... خدمة خلاص النفوس... هي أيضاً خدمة الصلاة، *"بسبب هذا أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح... كي يعطيكم بحسب غنى مجده، أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم"* أف ٣ : ١٤ - ١٧.

+ + +

[خامساً]   علاقاتنا بالآخرين

سأل ناموسي السيد المسيح قائلاً: ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية، فأجاب وقال: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك، وقريبك مثل نفسك. فقال بالصواب أجبت... أفعل هذا فتحيا.

ومن هو قريبي؟!

أجاب يسوع وذكر له قصة السامري الصالح، وكيف أن الشخص الغريب الجنس صنع معروفاً مع إنسان يهودي عدو له" بينما لم يصنع معه أقرباؤه (الكاهن واللاوي) هذا المعروف، بل تركوه بين حي وميت ... ثم قال له يسوع... اذهب أنت أيضاً وافعل هذا...

لذلك ينبغي أن تقوم علاقتنا مع الآخرين على أساس المحبة، حتى مع أعدائنا... وكيف ذلك؟ كيف نحب أعداءنا؟! إنه بلا شك أمر صعب جداً... كما أنه سهل جداً!! صعب بالطبيعة البشرية... وسهل بالطبيعة الإلهية.

لقد قتل قايين هابيل في بدء العالم، ولقد مات الابن الوحيد الجنس من أجل الخطاه وهو لم يعمل خطية.

وبينما تبدو وصية المحبة ثقيلة على الناس العالمين، نجد أنها تصبح سهلة على المسيحيين الحقيقيين، فالذي لا يستطيع أن يحب الآخرين، هو بالتأكيد لم يختبر الحب الإلهي نحو الله، أما الذي أحب الله واتحد به وأخذ منه، (إذ أنه هو ينبوع المحبة) وصار واحدا مع الله، أي صار إنساناً مسيحياً، فهو بالتأكيد يفيض قلبه حبا من نحو الآخرين. إذ أنه قد صار متحداً بالإله المحبة... فكيف لا يحب فيما بعد الآخرين؟

"أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضا ، لأن المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله" ١يو ٤ : ٧. ***"الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه"*** ١يو ٤ : ١٦ ***"كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد ولد من الله..."*** فإن هذه هي محبة الله أن نحفظ وصاياه... **ووصاياه ليست ثقيلة، لأن كل من ولد من الله**

يغلب العالم... ***"من هو الذي يغلب العالم إلا الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله"*** ١يو ٥ : ٥ "لأن يسوع وحده هو الذي سبق فغلب العالم"... ***"أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"*** (يو ٣ : ١٦) وعندما نعيش مع الله ونسلك حسب وصاياه ونتحد به، نصير أولاداً لله، على صورته، وتصبح محبتنا للجميع أمراً سهلا ولا نبذل فيها مجهوداً، بل تصبح من طبيعتنا، إذ أن الله حال فينا، فنحب ويزداد حبنا بلا تعب بلا مقابل، فهو حب غير ناقص لأنه ليس منا بل من الله الساكن فينا.

فإن كنت ترى ثقلا في وصية الرب - أن تحب الجميع فعليك أن تبحث أولا في علاقتك بالله، ومدى اتصالك به، وهل هو متحد بك... ابحث ذلك جيداً، لئلا تبتعد عن الطريق لأن من يبغض أخاه فهو قاتل نفس... وعلينا أن نقف في الطريق وقفة طويلة، سائلين: لماذا لا يسمع الله

صلواتنا؟ ولماذا لا يعطينا عندما نطلب؟ ولماذا لا يقبل أصوامنا؟ ولماذا...؟

يا أخواتي " إن كان الطريق إلى الله، هو محبة المسيح...؟! وإن كان كل شيء في حياتنا وعبادتنا ينبغي أن يكون كتعبير عن محبة المسيح، إذاً فكيف الوصول...؟!

+ + +

أولاً: **حياة الشكر**

عندما نتأمل في الطفل الصغير، وكيف تتكون عنده عاطفة الحب نحو والده، نجد أن الطفل يتطلع إلى والديه فيجد أنهما مصدر كل عطية صالحة، فإذا طلب شيئاً، أعطاه والده، وحتى عندما يدخل الوالد من باب المنزل يستقبله الطفل قائلا: ماذا أحضرت لي معك؟ وعندما يمرض يجد من يهتم به... وهكذا فإن الشعور بعطايا الآب لابد وأن توصلنا إلى علاقة عميقة من الحب معه. ولنتطلع الآن إلى شعور القديسين نحو الله. فيقول القديس أغريغوريوس: "أنك ثبت لي الأرض لأمشي عليها"... ألسنا

كلنا نسير على الأرض، ولكننا لا نتذكر أنها عطية من الله لأجلنا... أما داود النبي فيسير في وسط المراعي الخضراء... وأمامه خرافه الصغيرة، فإذا به يرى أن الله يرعاه كهؤلاء الخراف فيرنم قائلا: ***"الرب راعي فلا يعوزني شيء"*** .

وليس هذا التدريب بالصعب، بل إنه سهل جداً، فعليك أن تشكر الرب كلما أعطاك عطية صالحة، فنشكره لأنه أعطاك الحياة وعندما تقوم من نومك في الصباح ، أول كلمة تفتح بها فمك "أشكرك يارب لأنك منحتني نوماً سالماً هادئاً"، وعندما تتقدم إلى الطعام، اشكره من أجل خيراته، وفي وسط عملك اليومي تستطيع أن تتصل بالله، دون أن يشعر أي إنسان، شاكراً إياه على ما يعطيك من نجاح في عملك... وهكذا في جميع نواحي حياتك المادية، ولكن هناك ما هو أعظم من ذلك، أن تشكره على ما أعطاك في حياتك الروحية، إن آخر صلاة تقال في نهاية القداس هي "وأيضاً فلنشكر الله الآب، لأنه جعلنا أهلا، أن نقف في هذا المكان المقدس، ونرفع أيدينا إلى فوق".. وعندما يعطيك

الرب تأملات روحية في قراءاتك في الكتاب المقدس، فاشكره... وعندما تنمو في أي فضيلة مقدسة أشكره... أنه مصدر كل عطية صالحة، فتذكر كلمات القديس مار اسحق "ليست عطية بلا زيادة إلا التي بلا شكر".

ولهذا جعلت الكنيسة صلاة الشكر، بدء كل صلوات الكنيسة. وصلواتنا الفردية.. إذ أنها تعبير صادق ودليل على حبنا لله. إن علاقة مثل هذه بين الأب وابنه. علاقة شكر وإحساس بنعم الله. هي أعظم وسيلة لتقوية حبنا لله. ولقد وصل القديس بولس إلى أعمق درجات الإحساس بعطايا الله. عندما قال "الذي به نحيا ونتحرك ونوجد".

ثانياً: المسيح على الصليب

إن أعظم حادث يهز حياتنا. ويؤثر فينا. هو موت المسيح لأجل خلاصنا. وفي هذا يقول بولس الرسول "لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء. مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن **الله بين محبته لنا**. ***"لأنه ونحن***

بعد خطاه مات المسيح لأجلنا" رو ٥ : ٦- ٨. كان محكوما علينا بالموت الأبدي من أجل آثامنا. فتقدم إنسان ومات عنا لكي نحيا نحن... أن حبه هذا الذي أحبنا به. يدفعنا إلى أن نحبه من كل القلب والفكر والقدرة. ولهذا وضعت الكنيسة دائماً على الحجاب أمام أعيننا صورة المسيح معلقاً على الصليب... إذ أنه أعظم موضوع يجب أن ترتفع إليه عقولنا وإحساساتنا عندما نصلي "لأني لا أعزم أن أعرف بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً".

كان لأحد القديسين تلميذ. وفي يوم زار المعلم تلميذه. فوجد أمراً عجيباً في كتابه المقدس. أن كل صفحة بها كلمة "يسوع" (أي بمعنى مخلص) ممسوحة أو باهتة... فسأل تلميذه ما السر في ذلك... فسكت أولا. وبعد إلحاح. قال يا سيدي كلما أقرأ تنهمر الدموع من عيني. إذ أتذكر خلاصه وموته لأجلي أنا. وكيف تألم وتعب لأجلي على الصليب. فتتساقط الدموع على الكتاب حول هذه الكلمة... أن موضوع صلب المسيح لأجلنا ينبغي أن يكون موضوع

تأملنا، **في كل يوم**، إذ أنه دليل حي لله. وهو غاية ما أريد. أن أخلص بموت المسيح لأجلي وأن أحبه من كل قلبي لأجل هذا الحب الذي غمرني به بدون استحقاق.

تدريب:

١ – درب نفسك على أن تشكر المسيح باستمرار على نعمه.

٢ – درب نفسك على التأمل فيما صنعه المسيح على الصليب من أجلك.

+ + +

الباب الرابع

أنا هو الطريق

+ *"أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الآب الا بي"* (يو ١٤ : ٦)

+ *"الذي رآني فقد رأى الآب... أنا في الآب والآب في"*.(يو ١٤ : ٩، ١٠)

أنا هو الطريق

"أنا أمضي لأعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إلَّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً، وتعلمون حيث أنا أذهب وتعلمون الطريق. فقال له توما - يا سيد لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق. قال له يسوع:

أنا هو الطريق والحق و الحياة

ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي" (يو ١٤) .

وهكذا أوضح لنا السيد المسيح أنه هو الطريق الوحيد الذي يوصل إلى الآب، وأنه يريدنا أن نعرف ذلك تماماً، لئلا

نضل الطريق، وعبثاً نحاول الوصول إلى الآب بغير طريق الابن.

+ + +

[أولا] من رآني فقد رأى الآب

في يوم دخل بولس الرسول مدينة أثينا، فوجد هيكلا، مكتوباً عليه ***"لإله مجهول"***...كيف ذلك؟ ليس هذا في الواقع هو ما حدث في أثينا في تلك الأيام فقط، ل هو ما يحدث في جميع الديانات العالمية فهذا إنسان يصلي ويصوم ويقدم تقدماته إلى الله، ومن هو هذا الإله هل تعرفه؟ كلا... إنما أسمع عنه. وهكذا كل ديانة، وكل إنسان يصور لنفسه إلهاً كما يريد.

ولكن على العكس من ذلك، إذ جاء الابن، الإله المتجسد، الأقنوم الثاني، جاء في جسد إنسان، وعاش بيننا، ورأيناه بأعيننا ولمسته أيدينا، فيقول عنه القديس يوحنا ***"الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة"*** ١يو ١.

فعاش ربنا يسوع المسيح بيننا، فرح مع الفرحين في عرس قانا الجليل، وبكي عندما مات صديقه لعازر، وشفى مرضانا وحمل أوجاعنا... فنحن نعرفه تماماً وكل إنسان عرف الابن استطاع معرفة الآب، فاختبرنا محبة الآب في موت المسيح لأجلنا، واختبرنا قوته لأنه أقام لعازر أمام أعيننا، وله سلطان أن يغفر الخطايا، إذ غفر للمفلوج فقام وحمل السرير ومشى، وله سلطان أن يأمر الطبيعة، فأمر البحر فهدأ، ورأيناه يسد كل احتياجاتنا، فعند ما طلبه بطرس ليشفي حماته لم يتأخر.

وبهذا عرفنا الآب لأننا عرفنا الابن وعشنا معه، وهو قال أنه والآب واحد، فلسنا نعبد إلهاً مجهولا بعد، ولا نتحدث عن إله خيالي كتبت عنه الكتب، بل أكثر من ذلك أننا نتحدث عن وقائع ثابتة، فعندما نؤمن بقيامة الأموات، فنحن نعلم ذلك يقيناً، إذ أنه قام وأقام الكثيرين...

+ + +

[ثانيا] صالح السمائيين مع الأرضيين

لقد كان الطريق إلى السماء مغلقاً، منذ ذلك الوقت الذي طرد فيه آدم وحواء من الجنة كنتيجة لتخلى الله عنهما فظهر في ضعفهما البشري، ووضع ملاكاً ليحرس الطريق المؤدي إلى شجرة الحياة، وصارت العداوة قائمة بين الله والناس، ولم يستطع أي إنسان أن يفتح ذلك الطريق إلى السماء، لا ملاك ولا رئيس ملائكة، ولا نبي، لأن فتح ذلك الطريق يحتاج إلى مصالحة وفداء وموت لأجل الجميع، ولم يكن يستطيع أن يفدى البشر إنسان أو ملاك ويحمل أخطاءهم ويفي دينهم بعد، إلا يسوع المسيح وحده الذي يستطيع أن ينقض الحاجز المتوسط بيننا وبين الله.

ويقول عنه بولس الرسول ***"إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض الذي كان ضداً لنا وقد رفعه مسمراً إياه بالصليب"*** كو ٢ : ١٤. فهو وحده الذي يقدر أن يقدم عنا فداء لأجل خطايانا، وهو وحده الذي يستطيع أن يفتح لنا الطريق إلى الآب ، وبذلك صالحنا مع الآب، إذ يقول بولس

الرسول ***"ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة، أي أن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم"*** ٢كو ٥ : ١٨، ١٩. وقُدمت لنا هذه الخدمة أي المصالحة مجاناً، إذ أننا كلنا محتاجون إليها إذ يقول الكتاب ***"أنه ليس بار ولا واحد"*** رو٣ : ١١. ***"متبررين مجاناً بنعمة الفداء الذي بيسوع المسيح، الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، ولإظهار بره في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع"*** رو ٣. ويقول بولس الرسول في رسالته إلى أفسس عن هذه المصالحة ***"ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح، لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة مبطلا بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً،***

ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلا العداوة به..." أف ٢. والآن ألا يمكن الوصول للآب بدون المسيح؟ هل المسيح هو الطريق الوحيد؟؟...!!! يقول معلمنا بولس الرسول ***"لأنه إن كان بالناموس بر فالمسيح اذا مات بلا سبب"*** غل ٢.

إذ الجميع أخطأوا، ليس من يعمل صلاحا، ليس ولا واحد وحكم على الجميع بالموت، وهناك ديانات كثيرة مليئة بالوصايا الجميلة، ولكن ما قيمة هذه الوصايا... يقول عنها بولس الرسول أنها هي التي عرفته الخطية ***"بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس... فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته، ولكن الخطية وهو متخذة فرصة بالوصية، أنشأت في كل شهوة، لأن بدون الناموس الخطية ميتة. أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلا، ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية، فمت أنا".***

يمكنك أن تتصور معي قيمة النواميس التي وضعتها الديانات إنها تشبه المرآة. إنسان في وجهه بعض الأقذار،

يتطلع في المرآة فيرى الأقذار، ولكن المرآة لا يمكن أن تمسح الأقذار. وهكذا يقول بولس الرسول، أنه لو وجد إنسان **واحد لم يفعل الخطية اذا لم يكن هناك ضرورة لموت المسيح،** وهكذا يؤكد لنا إن موت المسيح هو الطريق الوحيد للمصالحة مع الله، حتى الأنبياء و القديسين، ويجب أن نفهم معنى كلمة القديسين، ليس القديسون هم أناس لم يصنعوا خطية أو لم يحكم عليهم بالموت، ولكنهم أناس **مجاهدون ضد الخطية**. ماتوا على رجاء الخلاص بالمسيح، حتى السيدة العذراء تقول تبتهج روحي بالله **مخلصي...** ليس ولا واحد، الجميع أغلق عليهم تحت الخطية... والجميع حكم عليهم بالموت ولا يوجد أي طريق آخر **غير المسيح البار.** والإيمان بخلاصه للوصول لله.

فعندما نصلي، تصل صلواتنا للآب عن طريق المسيح

"وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، وهو كفارة ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا العالم أجمع"

١ يو ٢ : ١، ٢.فهو شفيعنا عند الله الآب، وهو بكل تأكيد طريقنا الوحيد للوصول إليه.

+ + +

[ثالثا] يحل فينا ويقودنا إلى الآب

"أما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية، لأني لست أعرف ما أنا أفعله، إذ لست أفعل ما أريد بل ما أبغضه. فإن كنت أفعل ما لست أريده فإني أصادق الناموس أنه حسن، فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ، فإني أعلم أنه ليس ساكن فيَّ (أي في جسدي) شيء صالح... فلست أفعل الصالح الذي أريده بل الشر الذي لست أريده فإياه أفعل، فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل، فلست بعد أفعل أنا بل الخطية الساكنة فيَّ... ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت" رو ٧.

والآن يمكننا أن نستنتج كما استنتج بولس الرسول سبب الخطية أنه ليس من الناموس أو الوصايا الموجودة في

الكتاب فهي وصايا حسنة، بل إنها من الجسد ومن نفوسنا، وبَّين لنا أيضاً أنه مهما حسنت الوصية، فهي حسنة في ذاتها، ولكنها قاصرة لا يمكنها أن تحول طبيعتنا عن الخطية، هنا يجب أن نميز بين المسيحية والديانات الأخرى، فجميع الديانات الأخرى أتى أنبياؤها بوصايا حسنة، ولكن ماذا أستفيد من هذه الوصايا ما دام الخطأ في طبيعتي، ولكن في المسيحية أتي الله متجسداً، واضعاً لنا طريقاً آخر في المسيح يسوع إذ أخذ من طبيعتنا، فصار إنساناً، وأعطانا من طبيعته فصرنا شركاء للطبيعة الإلهية... شابهنا في كل شيء. يقول عنه بولس الرسول ***"من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيما ورئيس كهنة أميناً في ما لله، حتى يكفر خطايا الشعب لأنه فيما هو تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين"*** عب ٢ : ١٧، ١٨.

عاش المسيح بيننا، وقال : من منكم يبكتني على خطية، وربما نحتج بأنه إن كان المسيح **لم يفعل خطية فلأنه إله.** ولكننا بشر ومعلوم عن طبيعتنا أنها ضعيفة فكيف نصير

مثله؟... ولكن ينبغي أن نعلم أن المسيح جاء إنساناً كاملا ***"أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب"*** فيلبي ٢ : ٧.

لقد ترك الله كل ماله وأخلى نفسه، وترك مجده حتى يمكن أن يتجسد، إذ يستحيل على الله في مجده أن يحل في وسطنا في بطن عذراء، فإن مجده كان يرعب شعب بني إسرائيل في القديم، وهكذا ترك مجده، وصار مثلنا، يصلي للآب، ولكن من أجل طاعته العظيمة للآب، أعطاه الرب مجداً عظيما نظير ذلك، فعندما تحدث للآب قائلا - مجدني بالمجد الذي كان لي قبل كون العالم، سمع صوت الآب يقول - مجدتك وأمجد أيضاً وهكذا سلك المسيح في العالم كإنسان وأخذ المجد كإنسان لأجل طاعته لله ولم يصنع خطية بقوة الله الحال فيه، وأعطانا طريقاً عجيباً، إننا نستطيع بوجود الله الحال فينا، والله يحل فينا بالإيمان والطاعة، وإن كان بولس قد اشتكى من ضعفه وضعف

جسده قائلا: ***"ويحي أنا الإنسان الشقي، من ينقذني من جسد هذا الموت"*** ، فإنه يردف قائلا: ***"أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني"*** ، ومرة أخرى يقول: بينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي ومرة أخرى: ***"أنا ما أنا، ولكن نعمة الله العاملة فيَّ"***. وكما كان للسيد المسيح سلطان على الخطية من أجل الله المتحد به، هكذا يصير لنا عين القوة باتحاد الله بنا.

وأصبح لنا أن نعمل الأعمال التي يعملها المسيح بل وأعظم منها كما قال هو، والواقع أننا لا نعملها، بل هو يعملها بواسطتنا، فيقول بولس الرسول: لا أحيا أنا بل المسيح يحيا فيَّ، وأصبح الإنسان المسيحي هو مجرد إناء طاهر لحمل الله، فيقول القديس بطرس ***"إن كان يخدم أحد، فكأنه من قوة يمنحها الله لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح"*** ١بط ٣ : ١١.

فالمسيح هو الطريق الوحيد للانتصار، لأنه ما الفائدة أن يتبارى أصحاب الديانات في وصاياهم، ولكننا نقف فاشلين أمامها؟!

وما هو طريق الاتحاد بالمسيح...؟ أنه:

أ - طريق الصلاة والإيمان

فبالإيمان يحل الله في نفوسنا ونصير واحداً في المسيح، وإيماننا بموت المسيح وقيامته يكمل في إيماننا بوجوده متحداً بنا، فحلول الروح القدس في يوم الخمسين على التلاميذ وحلوله في نفوسهم هو الذي أعطاهم حياة القوة والانتصار والروح القدس الذي حل علينا يوم مسحنا بالميرون، نحتاج إلى الامتلاء منه بالإيمان لئلا يكون وجوده فينا شهادة ضدنا في يوم الدين، بل على العكس، فلنمتلئ من روح الله بالإيمان والصلاة وانسحاق القلب وإنكار الذات، طالبين عمله في حياتنا الضعيفة، لذلك ربما تتساءل: هناك كثيرون قد حل عليهم روح الله، ومع ذلك فإنهم سالكون بعيداً عن الله، فلماذا؟ السبب في ذلك أنهم

لم يمتلئوا بعد من الروح القدس، ومع وجود الله معهم فهم لا يطلبونه، والله لا يفرض نفسه علينا، لأنه لا يريد أن يفقدنا حريتنا.

لذلك ينبغي أن نتنبه إلى عظمة القوة الموجودة فينا، أي قوة الروح القدس التي أخذناها بعد المعمودية، وعلينا أن نجاهد طالبين شفاعة الروح القدس، لأن الكتاب يقول عنه ***"الذي يشفع فينا بأنات لا ينطق بها"*** وليحذر البعض من اعتمادهم على أنهم قد نالوا حلول الروح عليهم، أو أنهم أبناء الكنيسة الأرثوذكسية... ومع ذلك فهم لا يحسون بوجود روح الله في داخلهم... ماذا سيقولون أمام الله؟ سيدعون أنهم أبناء القديسين، ونالوا الروح القدس... وسيقول لهم الله أخذتم مواهبي ودفنتموها، لو كنتم عمياناً لما كانت لكم دينونة، ولكن لأنكم تبصرون فدينونتكم باقية، كان الله قادراً أن يخلق من الحجارة أولاداً للكنيسة الأرثوذكسية، لكنه لم يعمل ذلك لوجودكم...! إن الذين لم ينالوا البنوة من الكنيسة الأرثوذكسية، أكثر حرارة في طلب

الروح والامتلاء منه... فما بالنا نحن الذين أخذنا كل هذه النعم مجانية من اللّٰه!

وهناك صنف من المسيحيين حل عليه روح الرب، ومع ذلك فهو يجاهد في الصلاة طالباً التوبة من الله، فيسقط ويقوم... أنه يحتاج إلى تنقية الإيمان وقوة الامتلاء... ومع أن التلاميذ أخرجوا شياطين كثيرة، إلا أنهم فشلوا يوماً أمام إخراج شيطان، وسألوا لماذا لم نقدر أن نخرجه... فكان الرد أنه يحتاج للصلاة والصوم، هذا الصنف هم المجاهدون في الكنيسة الذين سيحسب الرب لهم جهادهم أكاليل مجد، والروح يسندهم بقدر ما يحتملون من إعلاناته لهم.

ب - الاتحاد مع جسد المسيح ودمه

ويقول كتاب حياة الصلاة عن هذا السر العظيم... إن الشجرة الرديئة الثمر إذا أريد تحسينه، تطعم في شجرة ثمرها جيد عندئذ تستطيع الشجرة الرديئة الثمر أن تأتي بثمر جيد، هو ليس منها ولكن من الطبيعة الجيدة التي طعمت بها، هكذا نحن أيضاً في تناولنا نتحد بطبيعة إلهية

فتصير ثمارنا جيدة، وهى ليست منا بل من الطبيعة الجديدة.

ولابد أن يسبق هذا الاتحاد، الإيمان بأن هذا الجسد وهذا الدم للمسيح يسوع وبقدرتها على تغيير الطبيعة وبالقوة الكامنة فيها وبضعف الطبيعة البشرية، وهذا هو معنى الاستحقاق الذي قصده معلمنا بولس الرسول إذ يقول : ***"من يأكل من هذا الجسد ويشرب من هذا الدم بدون استحقاق"*** (١كو ١١). وهكذا نصبح متحدين بالآب، كما أن المسيح أيضاً واحد في الآب، فما المنفعة يا إخوتي أن نتقدم إلى المائدة الإلهية وإيماننا فاتر ضعيف... ولماذا لم نحس بوجود الله مع أنه فينا؟... أليس هذا لفتورنا وضعف إيماننا؟ لذلك يقول معلمنا بولس الرسول: ***"من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون"*** .

وسر التناول المقدس ضرورة لازمة، كقول المسيح ***"إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم"*** .

فنتناول باستحقاق أي بإيمان واحتياج كامل إلى الله سيكون مصدر بركة كبيرة لنا، لذلك فإننا نتساءل، كيف يعيش المبتعدون عن التناول باستحقاق، وعن علاقتهم بالمسيح، وعن مدى تقدمهم في حياتهم الروحية؟...

إن كان السواح مع ما بلغوا من مراتب روحية عالية، يقومون بعمل القداسات في بعض الكنائس فإن هذا يؤكد لنا ضرورة وأهمية هذا السر لحياة الإنسان.

وعندما نتحد بالله، نصير شركاء الطبيعة الإلهية، ونعمل البر كما صنعه المسيح عندما أطاع الآب فمجدَّه الآب، وعمل المسيح كل ما يعمله الآب، وأصبحت هناك إرادة واحدة ومشيئة واحدة لهما معاً. وباتحادنا بالمسيح يعلن المسيح لنا عن الآب، ويرينا الطريق ويقول ربنا يسوع ***"أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم، أيها الآب إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني وعرَّفتهم***

اسمك. وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم" يو ١٧ : ٢٤: ٢٦.

وبعد هذا نسأل بعض أسئلة...

س - لماذا يتألم المسيح عندما نخطئ إليه؟

ج - ذلك لأننا صرنا واحداً فيه، فكيف نصنع الخطية وهو حاضر فينا؟ إن يسوع قد حمل أخطاءنا وهو مسرور بإرادته على الصليب، لكنه لا يرضى أن نصنع الخطية وهو موجود فينا.

س - هل تصبح أعضاء جسمنا متحدة بالمسيح؟

ج - يقول بولس السول ***"أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية"*** وهو يقصد بذلك أعضاء الإنسان الذي اتحد بالمسيح فأصبح كل عضو في جسده هو عضو للمسيح.

س - إن كان الله متحداً بنا، فما موقفنا منه أثناء الصلاة؟

ج - يقول القديس أوغسطينوس أنه بحث عن الله في كل مكان، في الطبيعة وفي الكتب... ولم يجده، ولكن عندما

بحث عنه في داخلة نفسه وجده هناك عميقاً جداً في أعماق نفسه، وهذا يجعلنا في صلواتنا متأكدين تماماً من سماع الله لها، وسرعة إستجابته، وكما سبق لا يمكن أن نصل إليه إلا إذا هدأت نفوسنا من رباطات هذا العالم وارتباكاته.

س - لماذا نصنع الخطية مع أن المسيح متحد بنا؟

جـ - لأن الله لن يفرض علينا خلاصه، ولكننا عندما نطلبه بالصلاة لا يتأخر أن يعمل فينا.

[رابعا] تاركا لنا مثالا لكي تتبعوا خطواته

(١بط ٢ : ٢١).

عاش السيد المسيح بيننا إنساناً كاملا، أخلى ذاته... وجاء إلى الأرض إلهاً متجسداً. وفي كل خطوة كان يخطوها كان ذلك من أجلنا نحن وليس من أجله هو...

فولد في مزود البقر، لكي يضع أمامنا الدرس الأول... إن بداية الطريق هي حياة الاتضاع... ولا يمكن الدخول إلى المجد إلا عن هذا الطريق، وفي كل عمل وكل حادثة

ستلمس أن هذا الاتضاع الأول في مزود البقر دائم في حياة المسيح، الذي أطاع حتى الموت، أعتمد ليكمل كل بر، وصام لأجلنا أيضاً ليرينا طريق الصيام المقبول، وجُرب من الشيطان ثلاث تجارب، ليس لها قيمة بالنسبة للسيد المسيح ولكن لكي يرينا كيف نسلك في التجارب فحاربه الشيطان بالجوع، وبالكبرياء، وبتجربة الطريق السهل، وفي كل مرة انتصر المسيح بقوة الكلمة المحفوظة في داخله، فعلمنا أثر الكتاب المقدس في حربنا مع العدو.

وبعد أن انتصر جاءت ملائكة وخدمته، وهو الذي تخدمه الملائكة ليل نهار، ولكن ذكر الكتاب المقدس هنا خدمة الملائكة لكي يضع أمامنا طريقاً، إن من ينتصر في حربه مع العدو الشرير يستحق خدمة الملائكة (عن كتاب الآباء الحاذقون في العبادة - الجزء الثاني).

وأرانا السيد كيف نعامل الآخرين، وكيف نحب الأعداء، وكيف نسعى لخلاص النفوس... فأرانا كيف أنقذ المرأة السامرية وكيف رفض إنزال النار لتحرق السامرة لأنها

رفضت الكلمة، وعلمنا أيضاً كيف نكره الخطية ونحب الخطاه، فصفح عن المرأة الخاطئة، والزانية، وجلس مع الخطاه والعشارين وخلص كثيرين منهم.

ووضع للخدام الطريق، فكان يمضي الليل كله في الصلاة، وفي النهار يجول يصنع خيراً، ويشفي كل مرض، وقبل أن يختار تلاميذه الاثني عشر أمضى الليل كله في الصلاة.

وكان طويل الأناة، فاحتمل ضعفات تلاميذه وقاوم ما فيهم من ضعف، واتضع بينهم وصار لهم خادماً، فغرس فيهم الاتضاع وعندما أتى الشيطان ليغربلهم كالحنطة. كان يصلي لأجلهم بينما هم نيام.

وعلمنا كيف نسلك في حياتنا الاجتماعية، فأعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ودفع الدرهمين، فكان مواطناً مخلصاً لوطنه، أطاع رؤساءه وخدم وطنه وأدى واجبه.

وعندما أتى الوقت ليقول الحق قاله... ولو أدى ذلك لموته، وبين لنا أنه ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس وعندما لطمه عبد رئيس الكهنة، قال له لماذا تلطمني -

وعندما رأى الهيكل قد دُنس بالباعة والصيارفة غار غيرة الرب وطرد الجميع، وقاوم الكتبة والفريسيين المرائين في وجوههم، وكان للحق منبراً عالياً، واهتم بأعماق النفس أكثر من المظاهر الخارجية فطوَّب التي أعطت الفلسين أكثر من الذين ألقوا نحاساً وفضة وذهباً في الخزانة.

وكان إنساناً محباً رقيقاً في شعوره، فرحب بالأطفال وباركهم وكان له أصدقاء يبيت عندهم مثل لعازر حبيبه، وفرح مع الفرحين وأطاع أمه وحول الماء خمراً، وبكى مع الباكين وواساهم وأقام ميتهم.

لذلك يجدر بنا أن نسلك في حياتنا هذه كما سلك المسيح فهو الطريق الوحيد الذي ينبغي أن نتبع خطواته.

وأخيراً إلى الصليب... ولقد عرض الشيطان على المسيح أن يصل إلى المجد عن طريق سهل ***"إن خررت وسجدت لي، أعطيك جميع ممالك الأرض، فقال له "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد"*** ورفض السيد المسيح أن يملك على العالم إلا عن طريق الصليب من أجل العالم، ولولا

هذا الصليب بآلامه لما كانت القيامة المجيدة والفرح الدائم وحلول روح الله القدوس.

لذلك من يسير مع المسيح ينبغي أن يولد في أول الطريق، في مذود الاتضاع الذي للبقر - ثم يسلك كما سلك سيده في حربه مع الشيطان، وفي معاملاته للآخرين، وفي صنعه الخير... ويحمل صليب يسوع، ثم يقوم معه أيضاً ***"إن كنا نتألم معه فستمجد معه أيضاً، "صادقة هي الكلمة إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه"*** ٢ تي ٢ : ١١.

\+ + +

فالمسيح هو طريقنا الوحيد إلى الملكوت لأنه:

- هو والآب واحد وعن طريقه عرفنا الآب.
- وقد صالح السمائيين مع الأرضيين وفتح الطريق إلى الملكوت بعد أن كان مغلقاً.
- ويتحد بنا ويقودنا للآب فنصير واحداً.

- ووضع لنا مثالا لكي نتبع خطواته.

ولإلهنا كل مجد وكرامة من الآن وإلى الأبد آمين

+ + +